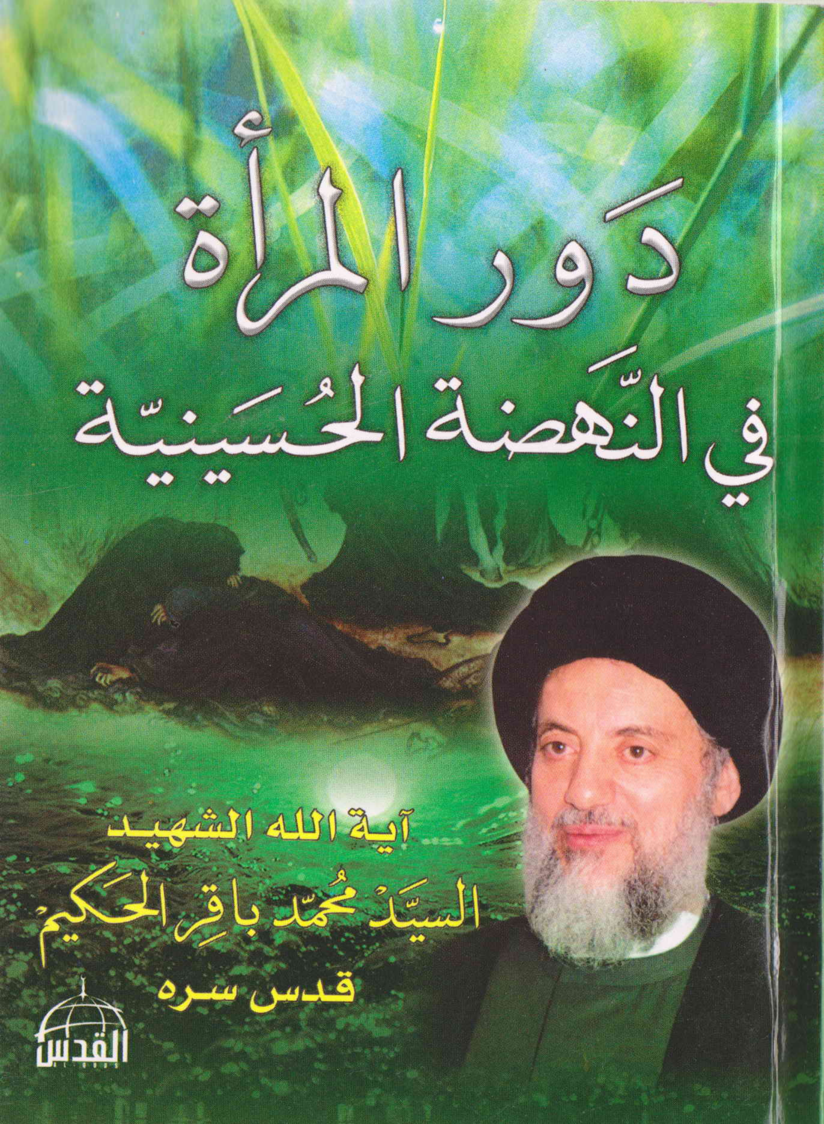

دَور المرأة
في النَّهضة الحُسينيّة
آية الله الشهيد
السيّدُ مُحمّد باقِر الحَكيم
قدس سره
القدس

الطبعة الأولى

١٤٢٨ - ٢٠٠٧





مكتبة وتسجيلات القدس

الكويت - جمعية الشعب التعاونية - السوق المركزي - الميزانين

تلفون: ٢٦١٧١٥٥ - داخلي: ١٥٥ / ١٥٦

نقال : ٦٠٦٦٩٩٧ - فاكس داخلي: ١٥٧

E-mail: alquds_@hotmail.com

المدخل

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام علىٰ سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب آله العالمين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين وعلىٰ أصحابه المنتجبين.

السلام عليك يا مولاي يا أبا عبدالله وعلىٰ الأرواح التي حلت بفنائك عليك مني سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ولا جعله الله آخر العهد مني لزيارتكم السلام علىٰ الحسين وعلىٰ علي بن الحسين وعلىٰ أولاد الحسين وعلىٰ أصحاب الحسين.

السلام علىٰ سيدنا ومولانا بقية الله في أرضه الحجة بن الحسن (عجل الله تعالىٰ فرجه الشريف) والسلام علىٰ شهداء الإسلام في كل مكان منذ الصدر الأول للإسلام وحتّىٰ شهداء هذا العصر.

تمر علينا هذه الأيام ونحن نعيش ذكريات ملحمة كربلاء، ذكريات المصيبة العظمىٰ والرزية الكبرىٰ والفاجعة الأليمة التي

اصيب بها أهل البيت عليهم السلام في مثل هذه الأيام في يوم عاشوراء وما سبقه من الأيام وبعد ذلك ما لحقه من الأيام ، حيث في مثل هذه الإيام (أيام صفر) كانت أيام السبي والأسىٰ لعيالات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحرمه وأهل بيته ، والبقية الباقية ممن بقي بعد ملحمة كربلاء وعاشوراء .

وموضوع السبي من الموضوعات المهمة التي لابد من تناولها بصورة خاصة في قضية ثورة الإمام الحسين عليه السلام وهو أمر يجرنا إلىٰ موضوع أوسع في هذه الثورة ، وهو : دور المرأة في قضية الإمام الحسين عليه السلام ، وبالرغم مما بذله الباحثون والخطباء والشعراء والأُدباء وكل الذين تناولوا قضية الإمام الحسين عليه السلام بالحديث والبحث ، وبالرغم من كل الجهود الخيرة الكبيرة الواسعة التي بُذلت في تناول موضوع السبي ، فقد بقي هذا الموضوع ودور المرأة في قضية الإمام الحسين عليه السلام بكل أبعاده وبكل جوانبه كموضوع رئيس ومستقل ، يحتاج إلىٰ المزيد من البحث والتأمل ، ولم توجه له الأنظار والأبحاث

بمستوىٰ يتناسب مع أهميته في قضية الإمام الحسين عليه السلام كما سوف أشير، كما أن له ـ أيضاً ـ أهمية كبيرة في واقعنا السياسي والاجتماعي، وهو دور عام يمكن أن تقوم به المرأة في كل العصور، وفي كل الأجيال، لأن الله سبحانه وتعالىٰ قد كتب للمرأة هذا الدور في الحياة الإنسانية وفي المجتمع الإنساني، لأن المرأة تمثل نصف المجتمع الإنساني، وتتحمل المسؤولية العامة تجاهه، ولها دور عظيم في حركة المجتمع وتكامله.

وقد أكد هذا الدور العظيم ـ أيضاً ـ القرآن الكريم وتحدث عنه، باعتبار ما للمرأة من نصيب في حياة الإنسان ومجتمعه.

ولذلك نجد أن القرآن الكريم في بعض آياته الكريمة عندما يضرب مثلاً للذين كفروا، ثم يضرب مثلاً للذين آمنوا ـ ومن الواضح أن عنوان الذين كفروا والذين آمنوا لا يختص بجماعة من الناس دون أُخرىٰ، وإنما هو عنوان يرتبط بكل الكافرين وبكل المؤمنين، سواء كانوا رجالاً أو نساءاً، صغاراً أو كباراً، من أهل العلم والمعرفة كانوا، أو من السوقة أو من عامة الناس ـ

نجد أن القرآن الكريم يضرب مثلاً لهذين الصنفين من الناس بالمرأة : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ٱمْرَأَةَ نُوحٍ وَٱمْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ٱدْخُلاَ ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّاخِلِينَ ﴾[1]،وهنا يضرب الله سبحانه وتعالىٰ مثلاً للذين كفروا بهاتين المرأتين ، ثم يضرب مثلاً للذين آمنوا بإمرأتين ـ أيضاً ـ إحداهما إمرأة فرعون : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا ٱمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ ﴾[2] ، والأخرىٰ مريم ابنة عمران : ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ ٱلَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَانِتِينَ ﴾[3].

---

(١) التحريم : ١٠.

(٢) التحريم : ١١.

(٣) التحريم : ١٢.

كما أن إلقاء الضوء على دور المرأة في قضية الإمام الحسين عليه السلام يمكن أن يوضح دورها في المجتمع الإنساني، ولاسيما في الحركة السياسية والاجتماعية العامة، فالمرأة كان لها دور كبير ومهم في النهضة الحسينية يتناسب معها، لايقل عن دور الرجل في هذه الثورة، ولاسيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار الخصوصيات التي يتميز بها الإمام الحسين عليه السلام كإمام مفروض الطاعة وله مواصفات خاصة لا يمكن أن يشبهه فيها أحد من الناس.

وكما أن في قضية ملحمة كربلاء، وقضية الشهادة والفداء والبذل والتضحية والمعاناة، وغير ذلك مما جرى على الإمام الحسين عليه السلام وصحبه وأهل بيته الذين شاركوا وساهموا في هذه المعركة .. يبقى الإمام الحسين هو رمز كل هؤلاء الرجال، وكذلك بالنسبة إلى النساء كانت الحوراء زينب عليها السلام هذه المرأة العظيمة عقيلة بني هاشم، تمثل الرمز في هذه الحركة، ثم نرى هذا الدور في عيالات الإمام الحسين عليه السلام، وفي عدد من النساء

في هذه القضية، كلٌّ حسب الموقع والمستوىٰ الذي يتناسب مع هذه المرأة أو تلك.

ويمكن تلخيص هذه الأدوار والنشاطات والأعمال التي قامت بها المرأة -بصورة عامة والعقيلة زينب بصورة خاصة- في قضية الإمام الحسين عليه السلام في عناوين وأدوار خمسة رئيسة:

القتال في سبيل الله

الدور الأول : هو (القتال) في سبيل الله والذي كان يمثل العنوان البارز في حركة الإمام الحسين عليه السلام ، إذ نجد أن المرأة كان لها مشاركة في هذه النهضة بمستوىٰ القتال ، بالرغم من أن الموقف المعروف عن الإسلام والذي طرح في معركة كربلاء ـ أيضاً ـ هو أن النساء ليس عليهن جناح أي « **ليس عليهن قتال** » ، ولكن نجد مع ذلك :

أولاً : في أصل الشريعة وفي أحكامها أن وجوب القتال في سبيل الله يترتب علىٰ المرأة في بعض الأحيان ، وهو فيما إذا كان القتال والجهاد قتالاً وجهاداً (دفاعياً) كما يعبر عنه الفقهاء ، وكانت المرأة قادرة علىٰ ممارسته ، ولم يكن في الرجال من يقوم بذلك ممن به الكفاية .

فالجهاد يصنف ـ عادة ـ في الشريعة إلىٰ صنفين :

١ ـ الجهاد الإبتدائي : وهو أن يكون من أجل نشر

الإسلام ، وكسر الحواجز التي يضعها الطغاة أمام حركة الإسلام وحركة الهدىٰ ، فهنا قد يبادر المسلمون بقيادتهم الشرعية إلىٰ القيام بالعمل القتالي ؛ عندما يقف الطغاة سداً حاجزاً ومانعاً عن حركة الهدىٰ بين الناس ، ويرىٰ الفقهاء بأن هذا النوع من القتال يكون مختصاً بنوع من الناس ، وهم : الرجال الأصحاء والأقوياء فقط ، ولا يشمل كل الرجال ، فالضعفاء منهم ـكما يعبر عنهم القرآن الكريم ـ من قبيل : المريض ، الأعرج ، الأعمىٰ ، الشيخ الكبير ، أو غير ذلك من الأشخاص الذين يتصفون بمثل هذه المواصفات التي تؤشر علىٰ الضعف ، فهم مرخصون في ترك الجهاد لقوله تعالىٰ :

﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَاءِ وَلاَ عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلاَ عَلَى ٱلَّذِينَ لاَيَجِدُونَ مَايُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا للهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[1].

٢ ـ الجهاد الدفاعي : وهو فيما إذا تعرض المسلمون إلىٰ

(١) التوبة :٩١.

هجوم الأعداء وإلىٰ العدوان من قبل الكافرين أو من الطغاة، فعلىٰ المسلمين أن يدافعوا عن إسلامهم وعن بيضة الإسلام والمسلمين، كما جاء في الحديث المعتبر المروي عن أهل البيت عليهم السلام [1] دون فرق في ذلك بين القوي والضعيف.

فالجهاد هنا يكون واجباً علىٰ كل القادرين، سواء كان هذا القادر رجلاً أو إمرأةً، سالماً كان في بدنه، أو ناقصاً من قبيل الأعمىٰ والأعرج، أو غيرهم، فالجهاد هنا يكون واجباً دفاعياً وواجباً علىٰ الجميع، وعلىٰ كل من يقدر أن يدافع أو يساهم في عملية الدفاع.

ولا شك بأن معركة الإمام الحسين عليه السلام كانت جهاداً دفاعياً، فالإمام الحسين عليه السلام كان يجاهد ويدافع عن الإسلام الذي يتعرض إلىٰ الخطر، بسبب وجود وطبيعة حكم الطاغية يزيد،

---

(١) عن يونس، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: ((يرابط ولا يقاتل وإن خاف علىٰ بيضة الإسلام والمسلمين قاتل))، الكافي ٥ : ٢١، حديث ٢.

ومحاولاته لحرف المسلمين عن الإسلام، وطرحه للمفاهيم الضالة ضد الإسلام.

وهذا الحكم في الجهاد حكم شامل لايختص بحالة يزيد، وإنما يشمل كل الطغاة الذين تكون لهم المواصفات اليزيدية إذا صح التعبير، وعندئذٍ يكون الجهاد جهاداً دفاعياً، ويكون شاملاً وعاماً لكل القادرين، مهما كان نوع هذا القادر، ولذا فهو يشمل النساء أيضاً.

وثانياً: أن الجهاد علىٰ المرأة في نهضة كربلاء وإن لم يكن واجباً بالفعل، ولذا لم تشارك فيه جميع النساء، وذلك لعدة أسباب منها:

وجود مصلحة مهمة ترتبط بالمرحلة الثانية من المعركة التي كان يخوضها الإمام الحسين عليه السلام، وهي مرحلة بقاء النساء من أجل القيام بالأدوار الأُخرىٰ التي سوف أُشير إليها، ولذا كان الإمام الحسين عليه السلام يمنع بعض النساء من المساهمة بشكل فعال في القتال، ولكن مع ذلك كله نلاحظ: أن هذه المساهمة

من المرأة كانت قائمة وموجودة.

وهناك أمثلة لهذه المساهمة من قِبل النساء منها:

أـ أم وهب بنت عبدالله وكانت مع زوجها عبد الله بن عمير الكلبي من (بني عليم) وكنيته أبو وهب، فانها حينما برز زوجها عبدالله إلىٰ القتال، وقتل يسار مولىٰ زياد، وسالم مولىٰ عبيدالله بن زياد، وأقبل إلىٰ الحسين يرتجز بهذا العمل البطولي، أخذت زوجته أُم وهب عموداً وأقبلت نحوه تقول له: فداك أبي وأُمي قاتل دون الطيبين ذرية محمد ﷺ، فأراد أن يردها إلىٰ الخيمة فلم تطاوعه وأخذت تجاذبه ثوبه، وتقول له: لن أدعك دون أن أموت معك، فناداها الحسين: جزيتم عن أهل بيت نبيكم خيراً إرجعي إلىٰ الخيمة، فأنه ليس علىٰ النساء قتال، فرجعت، ولكنها بعدما قُتِلَ زوجها بعد ذلك صبراً[١]، مشت إليه زوجته أُم وهب وجلست عند رأسه تمسح الدم عنه، وتقول: هنيئاً لك الجنة أسأل الله الذي رزقك

---

(١) يقال للرجل الذي يمسك ثم يقتل، قُتِلَ صبراً.

الجنة أن يصحبني معك، فقال: الشمر لغلامه رستم إضرب رأسها بالعمود فشدخه وماتت مكانها، وهي أول امرأة قتلت من أصحاب الحسين[1].

ب ـ أم عبد الله بن عمير الكلبي ـ المتقدم ـ فبعد أن قُتِلَ ولدها قطعوا رأسه ورموا به إلىٰ جهة الحسين، أخذته أمه ومسحت الدم عنه، ثم أخذت عمود خيمة وبرزت إلىٰ الأعداء، فردها الحسين وقال: إرجعي رحمك الله فقد وضع عنك الجهاد[2].

ج ـ أم عمرو بن جنادة الأنصاري، وكان عمرٌ ابنها أحد عشر عاماً، فانه جاء واستأذن الحسين[عليه السلام] فأبىٰ أن يأذن له بالقتال، وقال: هذا غلام قتل أبوه في الحملة الأولىٰ، ولعل أمه تكره ذلك، فقال الغلام: إن أمي أمرتني، فأذن له[عليه السلام] فما أسرع أن قُتِلَ ورمي برأسه إلىٰ جهة الحسين، فأخذته أمه ومسحت الدم

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام: ٢٣٨ و٢٤٢، للمقرم.

(٢) المصدر السابق: ٢٤٢.

عنه، وضربت به رجلاً قريباً منها، فمات، وعادت إلىٰ المخيم فأخذت عموداً، فردها الحسين إلىٰ الخيمة، بعد أن أصابت بالعمود رجلين [١].

د ـ موقف طوعة التي آوت وأخفت مسلم بن عقيل، عندما كان مطارداً من قبل عبيدالله بن زياد في بيتها ـ في الكوفة ـ وتصدت هذه المرأة الصالحة لحمايته، وعرَّضت وجودها ونفسها وبيتها إلىٰ أشد الأخطار القتالية.

وكذلك نجد مواقف أُخرىٰ بالنسبة إلىٰ بعض نساء أعداء الإمام الحسين عليه السلام تعبر عن رفضهن لهذه الجريمة الوحشية، كموقف النوار زوجة كعب بن جابر، الذي شارك في قتل برير بن خضير، فعتبت عليه، وقالت: أعنت علىٰ ابن فاطمة، وقتلت سيد القراء، لقد اتيت شيئاً عظيماً من الأمر، والله لا أُكلمك من رأسي كلمة أبداً [٢]، وهذا موقف البراءة من أعداء

---

(١) المصدر السابق: ٢٥٣.

(٢) المصدر السابق: ٢٥٠.

الله ، وهو من المواقف المكملة لموقف الولاية والولاء لأولياء الله ، وهناك العديد من هذه النماذج المشرّفة .

المحافظة على البقية الصالحة

الدور الثاني : هو دور المحافظة على البقية الصالحة لأهل بيت النبوة وأنصارهم وشيعتهم، فالمرأة في التاريخ الإنساني الإسلامي بشكل عام، وفي النهضة الحسينية بشكل خاص، كان لها دور عظيم في هذا المجال مجال، المحافظة على البقية الصالحة، وذلك لأهمية هذه البقية التي يعبر عنها الإمام علي عليه السلام بكلمته المعروفة، إذ يقول فيها : ((**بقية السيف أنمى**)) أي : ما يبقى من السيف بكون أكثر نمواً وأثراً في نتائج المعركة، فالإنسان عندما يخوض معركة ما ويقاتل بسيفه، قد يتعرض هذا السيف إلى الكسر، ولا يبقى منه إلا الشيء القليل، وهذا ـ طبعاً ـ تعبير مجازي، لأن السيف تارة يراد منه هذه الحديدة التي تستخدم في القتال، وأخرى يراد منه الجانب المعنوي، وتلك القوة التي تستخدم في قتال الأعداء، وفي تحقيق الغلبة من أجل النصر، كما يراد منه ـ أيضاً ـ أولئك

المقاتلين الذين يقومون بالعملية القتالية، فيعبر الإمام عليه السلام عنها تعبيراً مجازياً، بأن المتبقى من السيف ومن المعركة القتالية، يكون أنمىٰ وأزكىٰ وأكثر قدرة علىٰ تحقيق التكامل في مستقبل الحركة الإسلامية والجهادية.

ولذلك نجد أن المحافظة علىٰ هذه البقية الباقية المتمثلة ببقية السيف من الاعمال المهمة في مواصلة الثورة والنهضة، ويكون لها دور مهم في الحركة السياسية والجهادية.

وهنا نلاحظ سواءاً علىٰ مستوىٰ التاريخ الإنساني والإسلامي بالمعنىٰ العام، الذي يشمل كل الديانات الإلهية التي نزلت من الله سبحانه وتعالىٰ، لأن الدين عند الله الإسلام، أو التاريخ الخاص للثورة الحسينية.

نلاحظ أن المرأة كان لها هذا الدور العظيم فيما يتعلق بهذا المجال، ويشير القرآن الكريم إلىٰ عدد من هذه النماذج، كما يشير التاريخ الإسلامي بالمعنىٰ العام إلىٰ هذه الأدوار.

فمثلاً: نجد أن الدور الأساس في المحافظة علىٰ شخص

نبي الله إبراهيم عليه السلام كان لأُمه، كما تروي ذلك بعض النصوص الدينية، حيث أراد عمه أن يقتله، وهو طفل، لرؤيا رآها نمرود، فتدخلت أُمه لدىٰ عمه، الذي كان علىٰ ما يبدو راعياً لحياتها وشؤونها، وتمكنت أن تحافظ علىٰ إبراهيم عليه السلام، فقد ورد في الحديث عن الصادق عليه السلام: ((... **فلمّا أدخلت أُم إبراهيم إبراهيم دارها نظر إليه آزر.. فقالت أُم إبراهيم لآزر: لا عليك إن لم يشعر الملك به بقي لنا ولدنا ...**))(1).

ثم بعد ذلك يشير التاريخ إلىٰ دور هاجر عليها السلام التي كان لها دور اساسي في المحافظة علىٰ شخص إسماعيل عليه السلام، وهو امتداد إبراهيم عليه السلام، لإن إبراهيم كان امتداده في التاريخ الإسلامي والديني، من خلال خطي إسماعيل وإسحاق عليهما السلام، وخط إسماعيل، هو خط نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم (2).

---

(1) البحار ١٢ : ٢٩ ـ ٣٤، باب ولادة إبراهيم عليه السلام.

(2) يشير القرآن الكريم إلىٰ ذلك في دعاء إبراهيم وإسماعيل، عندما

ثم ننتقل بعد ذلك تاريخياً إلىٰ موسىٰ عليه السلام، حيث يؤكد القرآن الكريم علىٰ دور زوجة فرعون في المحافظة عليه، عندما أراد أن يقتله فرعون ﴿ **وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لاَ تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً...** ﴾[1].

كما حدثنا القرآن الكريم عن دور مريم عليها السلام في حضانة عيسىٰ عليه السلام وضربها مثلاً، في حفظ عيسىٰ عليه السلام من الناحية المعنوية، وتحملت هذا الضغط النفسي العالي؛ الذي تعرضت

↩ رفعوا القواعد من البيت، بالذرية المسلمة التي يكون فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم :
﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾، البقرة: ١٢٧ ـ ١٢٩.

(١) القصص: ٩.

له بسبب الولادة الغيبية الغريبة التي تحققت بالنسبة إلىٰ عيسىٰ عليه السلام ﴿ **فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً * يَاأُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ آمْرأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً** ﴾[1].

وعندما ننتقل إلىٰ تاريخ الإسلام الحديث المتمثل بالرسالة الإسلامية المحمدية ، نجد ـ أيضاً ـ للمرأة هذا الدور المتمثل في خديجة عليها السلام ، في وقوفها إلىٰ جانب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأموالها ، ومساندتها له في إيمانها والدفاع عنه ، حتىٰ ذكرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديثه عنها : ((**... أن لها في الجنّة بيتاً من قصب لا نصب فيه ولا صخب لؤلؤاً مكلّلاً بالذهب ...**))[2]، وحتىٰ قيل في شأنها ودورها هذا القول المعروف (بني الإسلام بأموال خديجة ، وسيف علي عليه السلام) .

كما كان للزهراء البتول عليها السلام هذا الدور ـ أيضاً ـ بعد وفاة

---

(١) مريم : ٢٧ ـ ٢٨ .

(٢) البحار ١٦ : ٢٠ ـ ٧٦ ، وج ١٨ : ٢٤١ ـ ٢٤٣ .

الرسـول ﷺ ، حـيث تـمكنت مـن أن تـحافظ عـلىٰ الإمـام علي عليه السلام عندما رفض البيعة ، وتعرض للتهديد بالقتل ، وعلىٰ مبدأ الولاية والإيمان بعلي عليه السلام .

فالتاريخ ينقل لنا أمثلة كثيرة ترتبط بدور المرأة في المحافظة علىٰ البقية الباقية ، التي قد تتعرض إلىٰ الأخـطار البـالغة فـي الجهاد والنهضة .

وهنا نجد أن العقيلة زينب عليها السلام تمكنت من أن تـقوم بـدور عظيم في الثورة الحسينية ، وذلك من خلال المـحافظة عـلىٰ حياة الإمام زين العابدين عليه السلام ، والذي يمثل بقية النبوة وبـيت الوحي والرسالة ، ويمثل الإمتداد للإمامة ، وكـان لهـا مـوقفان معروفان[1] :

الأول : كان عندما قتل الإمام الحسين عليه السلام ، وتعرض مخيم

---

(١) ومن المحتمل تاريخياً أن تكون هناك مواقـف أُخـرىٰ ـ أيـضاً ـ لم تدَّون وتسجل تـاريخياً ، لان قـضية الحسـين عليه السلام لم تسـجل بكـل تفاصيلها وبكل أحداثها .

الإمام الحسين للهجوم الوحشي ، من جيش عمر بن سعد ، وانتهىٰ القوم إلىٰ علي بن الحسين عليهما السلام ، وهو مريض علىٰ فراشه لا يستطيع النهوض ((فقائل يقول : لا تدعوا فيهم صغيراً ولا كبيراً ، وآخر يقول : لا تعجلوا حتىٰ نستشير الأمير عمر بن سعد ، وجرد الشمر سيفه يريد قتله ، فمنعه ابن سعد من قتله ، خصوصاً لما سمع العقيلة زينب عليها السلام تقول : لا يقتل حتىٰ أُقتل دونه))[1].

والثاني : كان في مجلس عبيدالله بن زياد ، حيث يروي التاريخ أن السبايا عندما أُدخلوا علىٰ عبيدالله بن زياد في الكوفة ، فوجد مع النساء رجلاً واحداً ، هو علي بن الحسين السجاد [عليهما السلام] ، فاستغرب ذلك ((وألتفت عبيدالله إلىٰ علي بن الحسين [عليهما السلام] ، وقال له : ما أسمك ؟ قال : أنا علي بن الحسين ، فقال له : أولم يقتل الله علياً ؟ فقال السجاد عليه السلام : كان لي أخ أكبر مني يسمىٰ علياً قتله الناس ، فرد عليه ابن زياد : بأن

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام : ٣٠١ ، للمقرم .

الله قتله، فقال السجاد: ﴿ **اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا...** ﴾.[1] ﴿ **وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إلا بِإِذْنِ اللَّهِ...** ﴾[2] فكبُر على ابن زياد أن يرد عليه، فأمر أن تضرب عنقه، لكن عمته العقيلة اعتنقته وقالت: حسبك يا ابن زياد من دمائنا ما سفكت!، وهل أبقيت أحداً غير هذا؟!، فأن أردت قتله، فاقتلني معه، فقال السجاد عليه السلام: أما علمت أن القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة، فنظر ابن زياد إليهما، وقال: دعوه لها، عجباً للرحم ودت أنهاتقتل معه) [3].

كما نجد للعقيلة مواقف أُخرىٰ في حفظ البقية الباقية من عيالات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن عيالات أهل البيت عليهم السلام، إذ أن عاشوراء لم تُبقِ أحداً من أهل البيت ـ تقريباً ـ من الرجال إلا اولئك الذين لم يتمكنوا من المشاركة في المعركة، أو بقي في

---

(١) الزمر: ٤٢.

(٢) آل عمران: ١٤٥.

(٣) مقتل الحسين عليه السلام: ٣٢٥، للمقرم.

المدينة منهم، أمثال: عبدالله بن جعفر، ومحمد بن الحنفية، اللذين كانا عاجزين عن المشاركة، ولم يبقَ إلا الأطفال، فلو لم تتمكن العقيلة من المحافظة على هؤلاء الأطفال، لما بقي لأهل البيت ذكر وأثر.

وهنا ينطبق كلام أمير المؤمنين عليه‌السلام عن بقية السيف، فعندما ينظر الإنسان إلى مشهد أهل البيت عليهم‌السلام يوم عاشوراء سنة ٦١ هـ بعد مقتل الحسين عليه‌السلام وأهل بيته، يرى وكأنه لم يبقَّ لهم أثر أو وجود، لأن الشعار الذي رفعه عمر بن سعد وجلاوزته، هو: أن لا تبقوا لأهل هذا البيت باقية [1].

ولكن بالرغم من ذلك نجد أن بقية السيف أصبحت البقية النامية الزاكية المنتشرة، والتي رفعت راية الإسلام في كل عصر، وفي كل زمان.

---

(١) وشبيه لهذا الشعار، الشعار الذي رفعه المجرم صدام في العراق، بعد انتفاضة الخامس عشر من شعبان ١٤١١ هـ، أنه لا شيعة بعد اليوم.

وفي عصرنا هذا رفع راية الإسلام هذه البقية الباقية، المتمثلة بالإمام الخميني ﷺ وبقية العلماء والمراجع (رحم الله الماضين منهم وحفظ الباقين).

كما أننا نلاحظ مواقف أُخرىٰ لبعض النساء المؤمنات في ملحمة كربلاء، حيث يُذكر تاريخياً؛ أن امرأة من آل بكر بن وائل، حينما شاهدت حرق الخيام والعدوان الوحشي علىٰ أهل بيت النبوة، بادرت في الخروج من مخيم عمر بن سعد، وصاحت: يا آل بكر بن وائل أتسلب بنات رسول الله [ﷺ]، لا حكم إلا لله، يا لثارات رسول الله [ﷺ][1].

فمثل هذه المواقف جعلت الجيش الأموي يواجه حالة خطيرة، وهي حالة التحولات العاطفية والمشاعر القوية الملتهبة والمتفجرة التي كانت من الممكن أن تحدث انفجاراً في الوضع النفسي والسياسي ذلك الوقت، لصالح أهل بيت النبوة، ومن ثم قد ينقلب الحال علىٰ عمر بن سعد؛ الأمر الذي

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام: ٣٠١، للمقرم.

أدىٰ إلىٰ تدخل عمر بن سعد بسرعة لمنع القتل، ثم بعد ذلك في منع النهب والسلب.

ويهذا يمكن أن نعرف أهمية هذا الدور الخاص، الذي يمكن أن تقوم به المرأة من متابعة هذه المواقف تاريخياً.

وأنا أطلب من الأخوة الباحثين والخطباء الأعزاء، الذين يتناولون مثل هذه الموضوعات والابعاد، أن يتابعوا مثل هذه المفردات في أحاديثهم، حتىٰ تكون قدوة وأمثولة ودرس لنا في هذا العصر، وكذلك تكون درساً لأخواتنا ونسائنا الكريمات، في المساهمة في هذه الثورة الحسينية في كل عصر وزمان، لأن ثورة الحسين عليه السلام ليست ثورة أيام معدودة ومحدودة في سنة ٦١هـ، وإنما هي ثورة باقية ومستمرة لنا، فكل يوم هو عاشوراء، وكل أرض هي كربلاء.

المحافظة علىٰ القيم والاخلاق

الدور الثالث : هو المحافظة علىٰ القيم والمثل والأخلاق التي نهض الإمام الحسين عليه السلام من أجل ترسيخها، بهذه الثورة وهذه النهضة المباركة ومن أجل الدفاع عنها.

فالثورة الحسينية فيها مجموعة من الأبعاد المهمة الرئيسية، تناولناها بالبحث في كتابنا المختصر، حول ثورة الحسين عليه السلام، وكان من جملة هذه الأبعاد الأساسية والمهمة هو : البعد الأخلاقي في هذه الثورة، وذلك أن الإمام الحسين عليه السلام واجه في عصره انهياراً في الجانب الأخلاقي للمجتمع الإسلامي، هذا المجتمع الجديد والحديث، وهذه الأُمة التي كانت خير أُمة أُخرجت للناس، وتمكنت من أن تحقق إنجازات عظيمة، وتنشر الهدىٰ والصلاح في مختلف أنحاء العالم، وتوسعت هذه الأُمة توسعاً كبيراً جداً في العصر الإسلامي الأول، وأمتدت في الشرق والغرب، من خلال الفتوحات الإسلامية

الواسعة الكبيرة، سواءاً في اتجاه الشرق الذي كان يتمثل في ذلك الوقت بالدولة الفارسية ،أو بإتجاه الغرب الذي كان يتمثل في ذلك الوقت بالدولة الرومانية، فأنتشر الإسلام إنتشاراً كبيراً في الصدر الأول للإسلام.

والاخلاق تحتل في النظرية الإسلامية موقعاً مهماً، وهوالقاعدة التي يقوم عليها خلال النظرية الإسلامية في قضية المجتمع الإسلامي، فالنظرية الإسلامية ترىٰ بأن المجتمع إنما يكون قوياً ومحكماً وقادراً علىٰ الاستمرار والبقاء والثبات؛ إذا قام علىٰ أساسين رئيسيين:

الأساس الأول: هو (**العقيدة**) التي تتمثل في نظر الإسلام بعقيدة التوحيد، وكل متفرعاتها من النبوة، وامتدادها في الإمامة، والإيمان بالدار الآخرة والحساب والجزاء، وامتداد الإيمان بالدار الآخرة، الإيمان بقضية العدل الذي يوصف به الله سبحانه وتعالىٰ، فالعقيدة تمثل الأساس الرئيس والمهم في ثبات أي مجتمع، فبمقدار ما تكون هذه العقيدة

قوية وصحيحة وأصيلة وواضحة، يكون هذا المجتمع ثابتاً ومستحكماً، وبمقدار ما تكون هذه العقيدة هزيلة وباطلة ومنحرفة وليس فيها وضوح بالنسبة إلىٰ الناس، يكون هذا المجتمع مجتمعاً مهزوزاً ضعيفاً، من الممكن أن تعصف به الأهواء وتطيح به الحوادث.

فلذلك كانت قضية العقيدة قضية مهمة جداً، ونجد أن القرآن في القسم الأول من نزوله، كان يركز ـ بشكل رئيسي في مرحلة ما نسميه (بالمرحلة المكية) أي نزوله في مكة ـ علىٰ الجانب العقائدي، من أجل بناء هذا الأساس المهم في المجتمع الإسلامي.

والأساس الثاني: هو (**الأخلاق**) الذي يعبر عنه بالقيم والمثل في حركة الإنسان، وهو: يعني فهماً خاصاً لشخصية (الإنسان) وما أودع الله فيه من تطلع نحو الكمال ويعبر عنه بالجانب (الفطري) في الانسان، وقضية إدراكه لحسن العدل وكماله في مقابل الظلم، وإدراكه لحقيقة الحرية في الإدارة في

مقابل الاغلال والعبودية للهوىٰ والخوف والخرافة والأوهام، وفهم الإنسان لعوامل التكامل في حركته، مثل: الوفاء بالعهد، والصبر في الشدائد، والاستقامة علىٰ الدرب، في مقابل فهمه لعوامل حركته التسافلية النازلة، مثل: الخيانة، والضجر والسأم، واليأس، والخذلان، إلىٰ غير ذلك من القيم، التي أكد عليها الإسلام في مفردات كثيرة.

مثلاً: قضية الصدق، قيمة من القيم، وقضية الوفاء بالعهود والمواثيق، قيمة من القيم الإسلامية، وهكذا قضية الصبر.

وكذلك قضية الأمانة والشعور بالمسؤولية تجاه الله تعالىٰ والمجتمع والواجبات، وهي من القيم المهمة التي أكد عليها الإسلام، في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[1].

فهذه القضايا والقيم والمثل، تمثل الأساس الآخر القوي

---

(١) الأحزاب: ٧٢.

بعد العقيدة، الذي يمكن أن يقوم عليه المجتمع الإسلامي؛ إذن فقضية الأخلاق لها هذا الدور المهم في المجتمع الإسلامي.

وفي عصر الإمام الحسين عليه السلام أهتزت قضية الأخلاق عند الناس، من خلال التوسع في الدنيا، والتمكن من الشهوات واللذات، وكثرة الأموال، والتوسع في القدرة والسلطة، وغير ذلك من الأمور التي أدت إلىٰ ضعف الحالة الأخلاقية.

ولذلك نجد في قضية الإمام الحسين عليه السلام، سلوكين متعاكسين:

الأول: تعامل أعداء الإمام الحسين معه عليه السلام، وكان سلوكهم يتصف بالتدني التسافل الشديد والسقوط الأخلاقي.

الثاني: تعامل الإمام الحسين عليه السلام مع أعدائه، الذي كان يتصف دائماً بالسمو الأخلاقي والارتفاع في المشاعر والعواطف والمواقف.

وعند متابعة سيرة الإمام الحسين عليه السلام ونهضته، منذ

خروجه ، وحتىٰ شهادته ، نلاحظ هذين الخطين ، المتمثل في أعداء الإمام الحسين عليه السلام والثاني المتمثل فيه وفي أصحابه ، بحيث كانت قضية الأخلاق من القضايا البارزة والمهمة في هذه المعركة .

فالإمام الحسين عليه السلام أراد أن يوقظ ضمير هؤلاء الناس ووجدانهم ، الذي نعبر عنه بالتعبير الاسلامي بـ(الفطرة) التي فطر الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ الناس عليها ، ويعبر الفلاسفة والكلاميون عن هذا الأمر وهذه الفطرة ومدركاتها ، بما يسمونه بـ(العقل العملي) كما يعبر عنه القرآن الكريم بـ(القلب) الواعي الذي يفقه الأشياء والذي يتعرض إلىٰ الموت والمرض والطبع والختم ، يعني : جانب الإدراك الذي يرتبط بالإدراكات السلوكية في الإنسان ، ويعبرون عنه أحياناً (الحسن والقبح العقليين) .

فأن الله سبحانه وتعالىٰ فطر الإنسان علىٰ مدركات العقل العملي ، وجعله يدرك ما هو الحسن من الأشياء ، وما هو القبيح

منها، لذلك عندما تعرض هذه السلوكيات علىٰ فطرة الإنسان، يميز الإنسان بين ما هو حسن، وما هو قبيح منها، فمثلاً: الإنسان يميز أن الأمانة شيء حسن ويدرك ذلك بعقله، وإن كان قد لا يلتزم بها، والخيانة أمر قبيح، وأن كان يرتكبها أصلاً.

وكذلك عندما يعرض عليه الصدق مقابل الكذب، أو الصبر والصمود والثبات، مقابل التخاذل والجبن والإحباط.

فالإنسان بعقله العملي، وبما أودع الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ في فطرته من مدركات يدرك أن هذا حسن، وهذا قبيح، مع غض النظر عن سلوكه الشخصي، وعندما لا يلتزم الإنسان بالسلوك الحسن ويستمر علىٰ ذلك، فأن هذه الفطرة تنحرف وتتحول إلىٰ قاعدة سلوكية، تؤدي بالإنسان الىٰ التدهور والتسافل في سلوكه، ويصبح المجتمع الإنساني الذي يشيع فيه هذا النوع من السلوك مجتمعاً منهاراً من الناحية الأخلاقية، كما كان ذلك هو حال المجتمع في عصر الإمام الحسين عليه السلام.

فالإمام الحسين عليه السلام قام بثورته من أجل المحافظة علىٰ هذه

القيم، وضحىٰ من أجل المصالح العامة، من أجل الإسلام، ومن أجل الناس، كما عبر عليه السلام عن ذلك: ((...**وأني لم أخرج أشَراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الاصلاح في اُمّة جدّي صلى الله عليه وآله اُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي عليّ ابن أبي طالب عليه السلام** ...))[1].

وبعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، كان لابد لمسيرة الأخلاق أن تستمر وتتكامل.

ونجد أن (المرأة) كان لها دور عظيم جداً في المحافظة علىٰ هذا الجانب وهذه القيم، ولو فرضنا أن نساء الإمام الحسين عليه السلام، ومن تبقىٰ من نساء هذا البيت الشريف ـ نعوذ بالله ـ لم يلتزموا بهذا المستوىٰ الأخلاقي، فماذا يكون مصير حركة الإمام الحسين عليه السلام من الناحية الأخلاقية بدون هذا الإلتزام؟!.

---

(١) البحار ٤٤: ٣٢٩.

ولذا نجد هذا الأمر واضحاً وضوحاً كاملاً في حركة المرأة الصالحة والأُسوة الحسنة زينب عليها السلام ومواقفها، فمثلاً: عندما تقف في مجلس عبيدالله بن زياد، وكان يعتبر نفسه منتصراً ومأخوذاً بزهوة الإنتصار، خصوصاً وإنه إنسان شرير وشاب نزق، ويحاول أن يعبر عن هذا النزق بالشماتة بزينب والحسين عليهما السلام وما جرىٰ عليهم، فيقول: ((...كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟))، وهنا تعبر العقيلة زينب عليها السلام عن إيمانها بالله تعالىٰ وصبرها علىٰ المصيبة وإدراكها لأهداف هذه الثورة ((**فقالت: ما رأيت إلاّ جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلىٰ مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجُّ وتخاصم،فانظر لمن الفلج يومئذ ثكلتك أمّك يا ابن مرجانة...**))[١].

فهذه (الثلة المؤمنة) قامت بمسؤوليتها خير قيام، وتحملت هذا الأمر والأذىٰ في سبيل المصلحة العامة، ومن

---

(١) المصدر السابق ٤٥: ١١٥ـ١١٦.

أجل أن يرضوا الله سبحانه وتعالىٰ ، وليصلوا إلىٰ هذه الدرجات من التكامل .

وكذلك إذا راجعنا خطبتها عليها السلام في الكوفة ، نجدها تشتمل علىٰ الوعظ والتأكيد علىٰ المفاهيم الأخلاقية ، التي يجب أن يتصف بها هؤلاء الناس ، وذلك بالإشارة إلىٰ خيانتهم وخذلانهم ونقض المواثيق والعهود ، ((... **أتبكون وتنحبون ؟ إي والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً ، فلقد ذهبتم بعارها وشنآنها (وشنارها خ.ل) ، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً .. أيَّ كبد لرسول الله فريتم ، وأيَّ كريمة له أبرزتم وأيَّ دم له سفكتم ، وأيَّ حرمة له انتهكتم ، لقد جئتم بهم صلعاء عنقاء سوّاء فقماء** ...))[1] ، إلىٰ غير ذلك .

وكذلك خطبتها في مجلس يزيد بن معاوية ، الذي كان مكتظاً بالوجهاء والقادة والوزراء والأُمراء والسفراء ، وقد

---

(١) المصدر السابق ٤٥ : ١٠٩ .

جمعهم يزيد من كل مكان، من أجل أن يظهر زهو الانتصار، حيث نراها تقف ذلك الموقف الصامد، وتتحدث معه بذلك الحديث القوي، حيث تقول: ((...**أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءك وسوقك بنات رسول الله سبايا قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههنَّ تحدو بهنَّ الأَعداء من بلد إلى بلد ويستشرفهنَّ أهل المناهل والمناقل ويتصفّح وجوههنَّ القريب والبعيد والدنيُّ والشريف ليس معهنَّ من رجالهنَّ وليٌّ ولا من حُماتهنَّ حميٌ؟ وكيف يرتجىٰ مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء ونبت لحمه بدماء الشهداء؟.. فوالله ما فريت إلا جلدك ولا جززت إلا لحمك**...))[1].

ونحن نرىٰ مواقف أُخرىٰ من نساءٍ ليسوا علىٰ مستوىٰ زينب عليها السلام في الفضل والعلم، وإنما يبدو أنهن من النساء العاديات، وإن كن بحسب مضمونهن الأخلاقي من النساء

---

(١) البحار ٤٥: ١٣٣ ـ ١٣٥.

الراقيات والعظيمات والمجاهدات، كموقف (دلهم) أو ديلم إمرأة زهير بن القين، الذي كان اتجاهه السياسي اتجاهاً عثمانياً، أي أنه كان يرىٰ بأن عثماناً قتل مظلوماً، وأنه يجب أخذ الثأر من قتلته والاقتصاص منهم، وكان علىٰ طريقة معاوية، يتهم أصحاب الإمام علي عليه السلام في قتل عثمان، ولذلك كان يتجنب الاجتماع بالإمام الحسين عليه السلام في الطريق، وكان يختار النزول في مكان يختلف عن المكان الذي ينزل فيه الإمام الحسين عليه السلام، ولكنه اضطر بعد ذلك أن ينزل في نفس المنطقة التي نزل بها الإمام الحسين، وذلك بسبب وجود الماء ـ ولحاجتهم إليه ـ في تلك المنطقة، فاستفاد الحسين عليه السلام من هذه الفرصة، في مخاطبة زهير بن القين في الإلتحاق بحركته، لأن الإمام عليه السلام كان يشعر بالمسؤولية ويدعو كل من يراه صالحاً لهذا الأمر.

يقول الشيخ المجلسي، نقلاً عن كتاب الملهوف، عن جماعة من فزارة ومن بجيلة، قالوا :

((كنّا مع زهير بن القين البجليّ حين أقبلنا من مكة ، وكـنّا نسائر الحسين عليه السلام فلم يكن شيء أبغض علينا من أن ننازله في منزل ، وإذا سار الحسين عليه السلام فنزل في منزل لم نجد بدًّا من أن ننازله ، فنزل الحسين في جانب ونزلنا في جانب ، فبينا نـحن جلوس نتغدّىٰ من طعام لنا إذ أقبل رسول الحسـين عليه السلام حـتّىٰ سلّم ، ثمَّ دخل ، فقال : يا زهير بن القين إنَّ أبا عبدالله الحسين بعثني إليك لتأتيه ، فطرح كلُّ إنسان منّا ما في يده ، حتّىٰ كأنّما علىٰ رؤوسنا الطير ، فقالت له امرأته ـ وهي ديلم بنت عمرو ـ سبحان الله أيبعث إليك ابن رسول ثمَّ لا تأتيه ؟ ...))[1].

إن هـذه المـرأة الصـالحة لا تـعرف تـفاصيل مـضمون أو خصوصيات هذه الدعوة ، وما هـو مـؤداها ، ولكـن أن تـرىٰ زوجها لا يستجيب لنداء الحسين عليه السلام بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فهذا مما يتنافىٰ مع الأخلاق الرفيعة ، وكان نتيجة ذلك أن تصدت لحث زوجها علىٰ قبول دعوة الإمام الحسين عليه السلام والاجتماع به ،

---

(١) المصدر السابق ٤٤ : ٣٧١.

وكان ثمرة هذا الاجتماع أن تحول زهير بن القين ـ كما نعبر في مصطلحاتنا الأدبية ـ ١٨٠ درجة، من موقف عثماني مضاد، إلىٰ موقف ناصر ومؤيد، وعلىٰ استعداد بأن يضحي بكل شيءٍ، في سبيل الإمام الحسين عليه السلام وحركته.

والسبب في ذلك أن الإمام الحسين عليه السلام ذكّره بحديث لسلمان الفارسي مع زهير بن القين في حربهم من أجل تحرير العراق، إذ فتح الله عليهم وأصابوا الكثير من الغنائم، فقال لهم سلمان: ((أفرحتم بما فتح الله عليكم وأصبتم من الغنائم؟ فقالوا: نعم، فقال: إذا أدركتم سيد شباب آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معه مما أصبتم اليوم من الغنائم))[1]، وهنا تذكر زهير الحديث وألتحق بالامام الحسين عليه السلام.

وهناك موقف آخر لإمرأة أُخرىٰ، هي: (النوار) ـ قد تقدم ـ في موقفها الأخلاقي، عندما تتحدث مع زوجها (كعب بن

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام: ١٧٧، للمقرم، عن تاريخ الطبري.

جابر) عن (برير) شيخ القراء، هذا الإنسان الذي كان له حق التعليم عليه، وعدم وفائه له مع كل خدماته الثقافية للمجتمع، فتقول: ((أعنت علىٰ ابن فاطمة وقتلت سيد القراء، لقد أتيت عظيماً من الأمر والله لا أكلمك من رأسي كلمة أبداً))[1].

إلىٰ غير ذلك من المواقف العظيمة التي تهدف إلىٰ المحافظة علىٰ القيم.

ولذا فنحن نؤكد علىٰ أن هناك مسؤولية عظيمة تتحملها عوائل، ونساء، وأمهات، وأخوات الشهداء، وكلّ من ينتمي إلىٰ هذه الأُسر الشريفة، أن يحافظوا علىٰ هذا الجانب الأخلاقي، الذي استشهد هؤلاء الشهداء من أجله وكان لهم شرف الإنتماء إليهم.

---

(١) المصدر السابق: ٢٥٠.

الدور الإعلامي

الدور الرابع : وقد كان للمرأة دور عظيم آخر في المجال الإعلامي ، ولاسيما لسيدتنا ومولاتنا العقيلة زينب عليها السلام ، حيث تحملت بشكل رئيس المسؤولية في هذا المجال .

وفي هذا البحث لابد وأن نشير **أولاً** : إلىٰ أهمية الإعلام في الحركة السياسية والجهادية .

ونشير **ثانياً** : إلىٰ أن هذا الإعلام لابد أن يسير علىٰ منهج خاص ، وتكون له أهداف معينة .

ثم بعد ذلك نشير إلىٰ الدور الذي قامت به المرأة المؤمنة ، ولاسيما العقيلة زينب عليها السلام في النهضة الحسينية .

اهمية الإعلام في الحركة السياسية

النقطة الأولىٰ : إن الإعلام في أي حركة سياسية وجهادية مهم جداً، بحيث لا يمكن أن تنتج هذه الحركة وتحقق أهدافها وغاياتها، ما لم يكن لها غطاء إعلامي، وإذا أردنا أن نرجع إلىٰ أُصول الإعلام، نجد أن أصله -كمايبدو- مأخوذ من عملية البلاغ التي يقوم بها الأنبياء والمرسلون، فالمسؤولية الأولىٰ الملقاة علىٰ عاتق النبي، هو إبلاغ الرسالة، وإبلاغ الرسالة -أحياناً- يكون معبراً عن كل أبعاد المسؤولية والعمل الذي يقوم به الرسول ﴿ **مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَاغُ** ... ﴾[1]، وهنا يبدو وكأنه لا يتحمل الرسول شيئاً آخر غير البلاغ.

وأحياناً أُخرىٰ يكون هذا العمل والمسؤولية، هو المهمة الأولىٰ في سلسلة المهمات التي يتحملها الأنبياء والرسل، كما في قوله تعالىٰ : ﴿ **هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ**

---

(١) المائدة : ٩٩.

﴿ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[1].

هنا يحدد للرسول ثلاث مسؤوليات رئيسية، وهي: تلاوة الآيات، وتزكية الناس، وتربيتهم وتطهيرهم وتعليمهم الكتاب والحكمة.

ونجد أن البلاغ الذي يعبر عنه في هذه الآية الكريمة بـ(تلاوة الآيات) يأتي في المرحلة الأُولىٰ من مراحل هذه المسؤوليات، فالإعلام يمثل الدور الرئيس والأساس في العملية التغيرية التي يمارسها الأنبياء والرسل.

وقد وصف الله سبحانه أنبياءه الذين لا يتحرجون من الإلتزام وإعلام ما فرض الله عليهم من واجبات وتكاليف، بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيباً ﴾[2].

---

(١) الجمعة: ٢.

(٢) الأحزاب: ٣٩.

الإعلام في النهضة الحسينية

وبالنسبة إلىٰ النهضة الحسينية كان السبب الرئيس في استمرارها وفي إنجاحها ، هو الدور الخاص الذي قامت به البقية الباقية من أهل البيت عليهم السلام في تغطيتها وتوضيح معالمها وأهدافها من الناحية الإعلامية ، وإبلاغ هذه الرسالة إلىٰ الناس .

علماً أن هذا الدور قام به أولاً : الإمام زين العابدين عليه السلام ، باعتباره يمثل البقية الباقية من أهل البيت ، وثانياً : قامت به السيدة العقيلة زينب عليها السلام وبقية أهل البيت عليهم السلام .

ولاشك أن الإعلام من أجل نجاحه يحتاج إلىٰ المنهج والأسلوب المناسب الذي يجب أن يلتزمه الإعلام ، كأن يكون الإعلام متناسباً مع المخاطبين في مراعاة ظروفهم وعقولهم وأوضاعهم النفسية ، والقضايا الهامة التي تتفاعل معها الأُمة .

وهذا ما يعبر عنه علماء اللغة بـ(البلاغة) التي يُعرفونها : بأنها عبارة عن مطابقة الكلام لمقتضىٰ الحال ، وهي بذلك

تختلف عن الفصاحة ، فـ(الفصاحة) هـي : أن يكـون الكـلام متقناً متطابقاً مع النظام الذي وُضعت علىٰ أُسسه اللغة ، ويكون اختيار المفردات اختياراً دقيقاً وبديعاً ومؤثراً .

فالبلاغة تحتاج إلىٰ أن يكون الكلام متطابقاً مـع الظـروف التي يعيشها الناس ـ وهذا ما يعبر عنه بالخطاب السياسي ـ من أجل أن يكون هذا الكلام مؤثراً في الناس .

ولذلك نجد أن العقيلة زينب عليها السلام ، عندما أرادت أن تـقوم بهذه المهمة الإعلامية ، وهي رمز المرأة في النهضة الحسينية ، وتمثل الدور الرئيس في هذه العملية الإعلامية ـ بالإضافة إلىٰ نساء أُخريات قمن بادوار معينة ، لكنها أقل من دور العـقيلة ـ نجد أن العقيلة زينب عليها السلام كان لها مراحل أربعة في إعلامها وفي خطابها السياسي ، وكانت تنتقي ـ أيضاً ـ المـضمون فـي هـذا الإعلام وفي هذا الخطاب ، بما يتناسب مـع هـذه المـراحـل الأربعة التي قامت بها :

المرحلة الأولىٰ : هي مرحلة الإعلام في الأوقات والأيام

التي كانت قبل الدخول في المعركة، أو بعدها بقليل، حيث كان لها حديث في ليلة ويوم عاشوراء، أي في اليوم الذي استشهد به الإمام الحسين عليه السلام، وكذلك في أثناء المعركة، وفي ليلة الحادي عشر، ويوم الحادي عشر، عندما بدأوا المسير بأتجاه الكوفة، وكان حديثها يرتكز بصورة رئيسية علىٰ إثارة المشاعر والعواطف في الأشخاص الذين أشتركوا في المعركة.

لنلاحظ ذلك في حديثها عليها السلام عندما أنتهت نحو الحسين عليه السلام عند مقتله، وقد دنا منه عمر بن سعد في جماعة من أصحابه، والحسين يجود بنفسه فصاحت: ((**أي عمر! أيقتل أبو عبدالله وأنت تنظر إليه؟**))، فصرف بوجهه عنها ودموعه تسيل علىٰ لحيته[1].

فقد أثار كلامها عليها السلام هذا القلب القاسي، الذي عبر عن تأثره العاطفي بالبكاء، ونادت عليها السلام بعد ذلك بصوت عالٍ، لإثارة المشاعر، ((**وامحمداه وأبتاه واعلياه واجعفراه**

---

(١) الطبري ٤ : ٣٤٥، طبعة الأعلمي.

واحمزتاه، هذا حسين بالعراء صريع بكربلاء)) ثم نادت: ((ليت السماء أُطبقت علىٰ الأرض، وليت الجبال تدكدكت علىٰ السهل)).

ثم بعد ذلك حديثها يوم الحادي عشر، عندما أرادت أن تودع الحسين عليه السلام، وصاحت عليها السلام: **((يا محمداه هذا حسين بالعراء، مرمل بالدماء، مقطع الأعضاء، وبناتك سبايا.. فأبكت كل عدو وصديق...))**[1].

فالقضية هنا وإن كانت قضية التقرب إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، وقضية المبادىء، وقضية العلاقة بالله سبحانه وتعالىٰ، ولكنها مع ذلك كله نجد حديثها هنا هو إثارة المشاعر والعواطف الخيرة التي أودعها الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ في فطرة هذا الإنسان، وتدفعها لإيقاظ هذه الضمائر، وتغيير الواقع النفسي والروحي الذي كان عليه هؤلاء الناس.

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام: ٢٨٤ و ٣٠٧، للمقرم، ويحسن مراجعة بحار الأنوار ٤٥: ٥٥ و٥٨ ـ ٥٩، والطبري ٤: ٣٤٨، طبعة الأعلمي.

وهي وإن لم تحقق هذا الهدف في أثناء المعركة، أو في ظروفها القريبة، ولكن كان لهذه المرحلة الأثر الكبير في التغييرات الروحية والنفسية القتالية.

المرحلة الثانية: خطابها عليها السلام في الكوفة، حيث كان الوضع السياسي والنفسي العام فيها موالياً لأهل البيت عليهم السلام ويتعاطف معهم، إضافة إلىٰ ذلك فأن أهل الكوفة قدموا المواثيق والعهود لنصرة الإمام الحسين عليه السلام، وكانت قلوبهم مع الإمام عليه السلام ولكنهم تخاذلوا عنه في اللحظة الأخيرة، لأسباب عديدة منها: كثرة الاعتقالات، وحالة الضغط والتهديد الذي كان يمارسه الحكام، إضافة إلىٰ الإغراءات الكثيرة التي اشتروا بها ضمائر بعض الناس.

كل هذا أدىٰ إلىٰ إصابتهم بهذا النوع من التخاذل.

زينب عليها السلام حينما خطبت في أهل الكوفة، وكذلك فاطمة بنت الحسين عليه السلام وغيرهما، كان حديثهم يرتكز علىٰ التأنيب، لنكثهم العهود، ونقضهم المواثيق، مما جعل الكثير

منهم يتأثر بخطابهم، ويبكي بشدة، ويندم على ما قاموا به وبدأوا يتحركون فوراً؛ للتعبير عن ذلك، ولذلك كان خطابها خطاباً سياسياً بليغاً اختارته بصورة مناسبة، تتطابق مع هذه الأوضاع السياسية والروحية.

المرحلة الثالثة: وهي مرحلة الحديث مع أهل الشام أي الحديث مع الأعداء التقليديين الشامتين، وأحاديثها وخطاباتها السابقة، وإن كانت ـ أيضاً ـ مع الأعداء، ولكن عموم المستمعين منهم كان ممن يوالي أهل البيت عليهم السلام، ولذا كانت الظاهرة العامة في الكوفة ـ بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام ـ كانت ظاهرة حزن، بكاء ونحيب، ولكن الأمر كان مختلفاً مع أهل الشام، فالشاميون كان موقفهم موقفاً عدائياً من أهل البيت عليهم السلام، وكانت الظاهرة الاجتماعيةالعامة هي: ظاهرة سرور وفرح، بحيث زُينت الشام استبشاراً بقتل الحسين عليه السلام.

ولذا تغيّر مضمون الحديث واسلوبه في الشام، فأصبح عبارة عن كشف الحقائق من ناحية، وابراز شجاعة أهل

البيت عليهم السلام وصمودهم وثباتهم واستمرارهم في هذا الطريق والوقوف إلىٰ جانب الحق من ناحية أُخرىٰ، والحديث عن المستقبل الذي لابد أن يتحقق فيه النصر للمؤمنين من ناحية ثالثة.

المرحلة الرابعة: وهي مرحلة ما بعد الأسر، عندما استقرت عليها السلام في المدينة، ثم نُقلت إلىٰ مصر ـ كما تذكر بعض الروايات ـ[1]، وكان نقلها إبعاداً ونفياً لها من مركزها في المدينة ـ ونجد أن خطابها عليها السلام هنا ـ المدينة ـ قد تغيّر، وأصبح لعموم المسلمين، لا يختص بالأنصار والموالين، كما هو الحال في الكوفة، ولا خطاب مع الاعداء، كما هو الحال في الشام، وإنما هو خطاب مع جمهور المسلمين، الذي كان يريد أن يعرف الحقائق والحوادث التي جرت في كربلاء.

ولذلك نجدها عليها السلام تخطب في الظرف المناسب، حتّىٰ

(١) وتذكر بعض النصوص أنها أُبعدت إلىٰ الشام، والمهم هو إبعادها إلىٰ بلد آخر غير المدينة.

يكون الخطاب مؤثراً وذا فائدة.

المضمون الإعلامي في الحركة السياسية

النقطة الثانية : لابد للخطاب -كما ذكرنا- أن تكون له مفردات مختارة ومناسبة للظروف والأوضاع النفسية والروحية، وبهذا الصدد نلاحظ وجود عدة مفردات رئيسية وأساسية، أكدت عليها العقيلة زينب عليها السلام في خطاباتها :

المفردة الأولىٰ : قضية الإنتساب إلىٰ أهل البيت عليهم السلام وانتمائهم إلىٰ أسرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وهذه من القضايا المهمة التي أكد عليها الإمام الحسين عليه السلام -أيضاً- في خطابه السياسي مع أعدائه : ((**ألست ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين بالله ...**))[1].

ونجد أن زينب والإمام زين العابدين عليهما السلام كانوا يؤكدون علىٰ هذه المفردة، وهي مفردة لا يمكن لأحد من الناس أن

(١) البحار ٤٥ : ٦.

يتجاوزها، لأن القرآن الكريم أشار إلىٰ هذه القضية في عدة آيات:

﴿...إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

وقوله تعالىٰ: **﴿... قُل لَّا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ...﴾**[2]، إلىٰ غيرها من الآيات.

ولذلك نجد أن يزيد حاول أن يعتم علىٰ هذه القضية، ويظهر قضية الحسين عليه السلام علىٰ أنها مجموعة من الخوارج، خرجوا علىٰ السلطة وتمردوا فقتلوا، ولم يبين حقيقة أنتمائهم إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهذا ما كشف عنه الإمام زين العابدين عليه السلام في خطابه بالشام: ((**... أنا ابن مكة ومنىٰ، أنا ابن زمزم والصفا، أنا ابن من حمل الركن بأطراف الرِّدا، أنا ابن خير من أئتزر**

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) الشورىٰ: ٢٣.

وارتدىٰ، أنا ابن خير من انتعل واحتفىٰ، أنا ابن خير من طاف وسعىٰ ... الخ))[1].

وقد يتساءل السائل : لماذا هـذا القـدر مـن الحـديث عـن النفس، وهذا الأغراق ... أنا ابن ... ، أنا ابن ... ؟

فتكون الإجابة أن الإمام عليه السلام أراد بهذا التعريف، أن يكشف للناس الارتباط بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وقرابته منه، الذي كان قد تستر عليه يزيد والأمويون، الأمر الذي أدىٰ إلىٰ تغير الوضع السياسي، حتّىٰ في مجلس يزيد نفسه، مما اضطره أن يتخذ موقفاً آخر، وهو أن يخفف الضغط علىٰ أهل البيت ويظهر الندم.

المفردة الثانية : توضيح الأهداف الرئيسة للثورة الحسينية، فهذه النهضة لم تكن من أجل المصالح الخاصة أو الصراعات القبلية، أو من أجل الحكم والسلطة، أو من أجل المكاسب المادية، إلىٰ غير ذلك مما قد يتوهمه الناس.

---

(١) البحار ٤٥ : ١٧٤، حديث ٢٢.

وإنما كانت نهضته عليه السلام من أجل الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن أجل إقامة الحق، وإلىٰ غير ذلك من المضامين، ولذلك نجد العقيلة تتحدث عن هذا الجانب في مجلس يزيد: ((... **اللّهم خذ بحقّنا، وانتقم من ظالمنا، واحلل غضبك بمن سفك دماءنا، ونقص ذمامنا، وقتل حماتنا، وهتك عنّا سدولنا.. بعد أن تركت عيون المسلمين به عبرىٰ، وصدورهم عند ذكره حرّىٰ، فتلك قلوب قاسية، ونفوس طاغية، وأجسام محشوّة بسخط الله ولعنة الرّسول قد عشّش فيه الشيطان وفرّخ.. فالعجب كلّ العجب لقتل الأتقياء، وأسباط الأنبياء، وسليل الأوصياء بأيدي الطلقاء الخبيثة ونسل العهرة** ...))[١].

المفردة الثالثة: وهي قضية المظلومية، وهنا كان للسيدة زينب عليها السلام دوراً متميزاً، حتّىٰ علىٰ دور الإمام زين

---

(١) راجع البحار ٤٥: ١٥٧ ـ ١٦٠.

العابدين عليه السلام، فالمرأة عندما تطرح قضية المظلومية، يكون تأثيرها أكثر من الرجل.

فالمجتمع ينظر إلىٰ المرأة، علىٰ أنها إنسان ضعيف بالنسبة إلىٰ الرجل، فعندما يظلم الضعيف، يكون لإبداء مظلوميته تأثير أكبر في النفوس،فظلم الطفل والشيخ الكَبير، يختلف عن ظلم الشاب القوي، وكذلك الحال بالنسبة إلىٰ المرأة.

ولذلك نجد أن للعقيلة زينب عليها السلام دور عظيم جدّاً في طرح قضية المظلومية وتحريك الضمائر، وهز المشاعر وإثارة العواطف، من خلال موقفها ودورها.

وهذا ما لاحظناه في الثورة الإسلامية المعاصرة في إيران، فقد كان للمرأة دور عظيم جدّاً في تحريك المشاعر، باعتبار أنها تمثل هذا الجانب في المجتمع الإنساني.

المفردة الرابعة: وهي قضية الأمل والمستقبل، وبأن النصر والعاقبة سوف يكون لهذه النهضة الحسينية، وهذا ما أكدت عليه العقيلة زينب عليها السلام في خطابها مع يزيد، حيث

تقول : ((... **فكد كيدك واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا تدرك أمدنا، ولا ترحض عنك عارها، وهل رأيك إلّا فند، وأيّامك إلّا عدد، وجمعك إلّا بدد، يوم يناد المناد ألا لعنة الله علىٰ الظالمين** ...))[1].

فبالرغم من الظروف الصعبة التي كانت تعيشها عليها السلام، والتي لا يمكن إلا أن تعبر عن قمة المأساة فيها، وما مرّ عليها من قتل أهل بيتها إلىٰ سبيها وأسرها وذلها، وغير ذلك.

نجدها بهذه القوة والصلابة، تؤكد بأن النصر سوف يكون حليفاً لنا، مهما كانت الظروف، وما صنع الله بنا إلّا خيراً، والنتائج دائماً إلىٰ صالحنا، وسوف يكون المستقبل إلىٰ جانبنا.

فالقضية الروحية المعنوية في العملية السياسية والجهادية مهمة جداً، والإعلام هو : الذي يمكن أن يرسم المصير.

---

(١) البحار ٤٥ : ١٣٥، عن كتاب الملهوف.

الأسر والسبي

الدور الخامس : وهو الدور الرئيس والأساس بين كل هذه الأدوار، حيث تبدو فيه المشاركة الحقيقية للمرأة في هذه الثورة، بحيث تحملت القسط الثاني منها، في مواجهة الظلم والطغيان من ناحية، وفي تحقيق الاهداف التي كان يسعىٰ إليها الإمام الحسين عليه السلام من ناحية أُخرىٰ، فان ما مرّ علىٰ الإمام الحسين عليه السلام وأحداث شهادته في يوم كربلاء، وما جرىٰ عليه وعلىٰ أهل بيته وأصحابه من محن ومصائب وآلام وقتل ومثلة، يمثل جانباً من الجريمة الوحشية المروعة التي اهتزت لها الضمائر المريضة أو الميتة، وتكشفت بها الحقيقة المرة في طغيان يزيد وإنحراف حكمه.

كما أن ما جرىٰ علىٰ العقيلة زينب عليها السلام ونساء وبنات الحسين وأصحابه، الذين تعرضوا للأسر والسبي وهتك الحرمات يمثل الجانب الآخر من هذه الجريمة في فضاعته

ووضوحه وآثاره الروحية والاجتماعية، فقد تحمل هؤلاء النسوة والأطفال القسط الثاني من هذه الآلام والمصائب، ومن الممكن القول أنه يساوي القسط الذي تحمله الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه.

ففاجعة كربلاء العظمىٰ لها عدلان رئيسيان يكمل أحدهما الآخر: عدل القتل والتمثيل والهتك لحرمة هذه الصفوة من أبناء الأُمة وعلىٰ رأسهم الإمام الحسين ابن بنت رسول الله وأهل بيته وصحبه الكرام.

وعدل السبي والأسر والهتك والاستهتار بحرمات هذه النسوة اللاتي يمثلن حرم رسول الله وأهل بيته.

ولابد أن نشير إلىٰ نقطة أساسية ومهمة جداً، في فهم الاوضاع السياسية القائمة في ذلك الوقت من ناحية، ونقطة أُخرىٰ ترتبط بالفهم الشرعي والثقافي لدىٰ الأُمة، تجاه حركة الإمام الحسين عليه السلام، ليتضح لنا هذا الدور العظيم الذي قامت به المرأة المسلمة في الثورة الحسينية، وتحقيق أهدافها في إيقاظ

ضمير الأُمة وكشف الحقيقة وفضح الأمويين وتوضيح حقيقتهم وموقفهم من الإسلام ومن الشريعة الإسلامية .

أما فيما يتعلق بالاوضاع السياسية التي كان يعيشها المسلمون في ذلك الوقت ، فقد كان هناك شك كبير في الأوساط العامة للأُمة في ذلك الوقت ، حول شرعية هذه الثورة ووجوب القيام في وجه الظلم والطغيان ، المتمثل في يزيد ، وإن كان يوجد وضوح إلىٰ حد ما في إنحراف يزيد ، الأمر الذي أدىٰ إلىٰ امتناع بعض وجوه الصحابة والتابعين عن بيعته .

وهذا الشك وإن كنا لا نراه في أيامنا الحاضرة ، أي بعد مضي هذه المدة الطويلة علىٰ ثورة الإمام الحسين عليه‌السلام ، وبعد تأثير هذه الثورة في أوساط المسلمين ، وبعد توضيح ما جرىٰ في هذه الثورة للناس ، وما كشفت من حقائق تجاه الواقع اليزيدي ، وموقف الأمويين في ذلك الوقت .

ولكن أذا نقلنا أنفسنا إلىٰ ذلك العصر ، أي عهد معاوية بن أبي سفيان ، وعرفنا أن هذا العهد كان عبارة عن عشرين عاماً

من الحكم المطلق المهيمن والمسيطر علىٰ الاوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية، منذ شهادة الإمام علي عليه السلام إلىٰ حين وفاة معاوية، حيث كان حكمه مطلقاً ومهيمناً علىٰ العالم الإسلامي، وكان معاوية علىٰ درجة عالية من الدهاء والهيمنة والتخطيط للقضايا والأهداف السياسية والاجتماعية والثقافية التي يسعىٰ إليها.

ومن جملة القضايا المهمة التي سعىٰ إليها معاوية بجد، هي: إشاعة فكرة معينة بين المسلمين، وهذه الفكرة هي: إطاعة الحاكم الذي يرفع شعار الإسلام، حتىٰ لو كان جائراً أو ظالماً أو خارجاً علىٰ الحدود الإسلامية، ما لم يُظهر الكفر البواح بصورة علنية وظاهرة أمام الناس، نعم قد يُنصح ويُتحدث معه بالحكمة، ولكن إطاعته والخضوع له والقبول به واجب من الواجبات الشرعية.

والغرض من نشر هذه الفكرة، هو: تصحيح مواقف ومخالفات معاوية الكثيرة، والتمهيد لحكم يزيد، وتبرير

موقف الخليفة الثالث وحاشيته في ما يتعلق بالأوضاع التي جرت في مدة خلافته، وإدانة من ثار علىٰ عثمان في محاولة تغيير الأوضاع التي إرتكبها بعض الولاة في أيام عثمان، من إنحرافات وتصرفات سيئة.

وقد وضعت وحُرّفت عدة أحاديث علىٰ لسان رسول الله ﷺ، تقول: بوجوب طاعة هٰذا الحاكم، حتّىٰ لو كان جائراً وظالماً، ولازالت هذه النصوص تتداول في كثير من الكتب التي يعتبرها عامة المسلمين أنها نصوص صحيحة، ويتلقونها بالقبول في أوساطهم، حتّىٰ يومنا الحاضر، وروج لها معاوية بشكل واسع وأمتدت بامتداد الحكم الأموي، وتلقاها العباسيون بالقبول وروجوها أيضاً.

ولذا كان الإمام الحسين عليه السلام يواجه صعوبة كبيرة في مواجهة هذا الفهم العام للمسلمين، من قضية طاعة الحاكم الجائر، ونجده عليه السلام في محاولة لتصحيح هذا الفهم، يروي حديثاً عن جده رسول الله ﷺ :

((... من رأىٰ سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله، يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان ثم لم يغيّر بقول ولا فعل، كان حقيقاً علىٰ الله أن يدخله مدخله ...))[1].

ولكن مع ذلك كله نجد أن الأوضاع ظلت كما هي، وواجه عليه السلام صعوبة في تغيير هذه الرؤية، حتّىٰ قام بثورته وتضحيته عليه السلام من أجل ذلك.

وقد كانت معركته هذه مع الأمويين، قد جعلته في موقف يشوبه الوهم والإلتباس بأنه يخالف فيه الأحكام الإسلامية العامة التي يعرفها المسلمون، كالخروج علىٰ الحاكم الذي تجب طاعته، وهذا يعتبر شقاً لعصا المسلمين، ومن يشق عصا المسلمين يجوز قتله بزعم هذا الفهم.

ولذا تجرأ بعضهم بالقول بأن الإمام الحسين قتل بسيف

---

(١) البحار ٤٤ : ٣٨٢، عن المناقب، والطبري ٤ : ٣٠٤، حوادث سنة ٦١، باختلاف يسير.

جده رسول الله ﷺ !!.

ولكن الإمام الحسين عليه السلام بمواجهته مع الأمويين وثورته عليهم، تمكن من أن يكشف الحقيقة المُرّة المتمثلة بكفرهم وإستهتارهم بالإسلام وأحكامه، حيث أسقط القناع عنهم عندما ارتكبوا أعمال واضحة في مخالفتها للإسلام، وهي :

العمل الأول : التعذيب والاضطهاد للإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه وعيالاته وأطفاله بمحاصرتهم ومنعهم من الماء والأكل. والتعذيب من الأمور المحرمة في الإسلام، التي يجمع المسلمون جميعاً علىٰ حرمتها.

فإذا كان يحق للأمويين -بزعمهم- أن يقتلوا الإمام الحسين عليه السلام، فما هو ذنب الصغار الذين يمنعون من الماء، ويحرمون من الغذاء، ويموتون عطشاً، كما قال الإمام الحسين عند وداع أبنه عبدالله الرضيع : ((**بعدا لهؤلاء القوم إذا كان جدك المصطفىٰ خصمهم**))، ثم أتىٰ به نحو القوم يطلب له الماء، فرماه حرملة بن كاهل الأسدي بسهم فذبحه، وفيه

يقول حجة آل محمد عجل الله فرجه : **((السلام على عبدالله الرضيع المرمي الصريع المتشحط بدمه إلى السماء المذبوح بالسهم في حجر أبيه ...))**[1].

وهذا الأمر لا يمكن أن يقبله أحد من الناس ، فالتعذيب بهذه الطريقة والصورة الوحشية تجاه أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، حيث كانت قضية مكشوفة وواضحة لدى المسلمين في مخالفتها للإسلام ، ولا يمكن أن تفسر أو تبرر بأي حديث .

العمل الثاني : الذي تمكن الامام الحسين عليه السلام من خلال ثورته ومصيبته العظمى أن يبين للمسلمين مخالفته للشريعة بصورة واضحة ، هو : قضية التمثيل والمثلة ، فهذا الإمام علي عليه السلام يروي أنه قد سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : **((إيّاكم والمثلة ولو بالكلب العقور))**[2] ، والمسلمون جميعاً

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام : ٢٧٢ ، للمقرم.

(٢) البحار ٤٢ : ٢٤٦ ، عن كشف الغمة ، ونهج البلاغة ١٧ : ٦ ، تحت رقم ٤٧ ، من وصية له عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام ، عندما ضربه ابن ملجم لعنه الله ، منشورات المرعشي النجفي.

يروون عن رسول الله ﷺ : ((**أنه نهىٰ عن المثلة**))[1].

فنرىٰ مثلاً عمر بن سعد يوم عاشوراء، يأمر مجموعة من الخيالة أن تطأ صدر وجسد الحسين عليه السلام، ويمثلوا بجسده بطريقة تقشعر لها الأبدان، ثم بعد ذلك قاموا بقطع رؤوس القتلىٰ من أهل البيت عليهم السلام وأصحابه[2]، ورفعوها فوق الرماح.

وهذا نوع آخر من انواع المثلة يراد منها الإنتقام والتشفي، وتكشف بشكل واضح ما تكنه صدور الأمويين من حقد ومخالفة للحكم الإسلامي.

العمل الثالث : ممارسة قتل النساء والأطفال والجرحىٰ

---

(١) راجع صحيح مسلم ٥ : ١٣٥٧، وسنن ابن ماجه ٢ : ١٠٦٣، لسان العرب ١١ : ٦١٥ مادة (مثل)، وكذلك جاء في كتاب الفقه الإسلامي ٦ : ٧٢٠، (...كما لايجوز التمثيل بأحد حال الحياة أو بعد الموت ...).

والمثلة : عبارة عن قيام بأعمال وحشية ضد المقتول تعبر عن حالة الإنتقام وإشفاء الغليل.

(٢) راجع البحار ٤٥ : ٦٢، عن مناقب آل أبي طالب.

والعاجزين ، دون سبب عدا التشفي والإنتقام واشاعة الرعب والخوف ،كما حدث ذلك بالنسبة الىٰ أُم وهب فأنها عندما قتل زوجها صبراً ، مشت إليه زوجته أُم وهب وجلست عنده تمسح الدم عنه ، فقال الشمر لغلامه رستم : إضرب رأسها بالعمود ، فشدخه وماتت مكانها[1].

وكذلك ما حدث بالنسبة لعبدالله الرضيع ، فأن الإمام الحسين عليه السلام أراد أن يودع أبنه الرضيع ، ثم أتىٰ به نحو القوم يطلب له الماء ، فرماه حرملة بن كاهل الأسدي بسهم فذبحه[2].

وقد وصل الحال ببعض عناصر الجيش الأموي كشمر بن ذي الجوشن أن يروع النساء ، فيستنكر عليه ذلك بعض العناصر الأُخرىٰ مثل شبث بن ربعي ، حيث كان في يوم العاشر إذ ((حمل الشمر علىٰ فسطاط الإمام الحسين عليه السلام وقال : عليَّ

---

(١) البحار ٤٥ : ١٧.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام : ٢٧٢ ، للمقرم.

بالنار لأحرقه علىٰ أهله فتصايحت النساء وخرجن من الفسطاط .. وقال له شبث بن ربعي : أمرعباً للنساء صرت ؟! ما رأيت مقالاً اسوأ من مقالك وموقفاً اقبح من موقفك فاستحىٰ وانصرف))(١) .

العمل الرابع : وقد كان أوضح في أداءه ومدلولاته في فضح وكشف الأمويين من الأعمال السابقة ، كما كان له تأثير كبير جداً علىٰ وعي المسلمين ، وهو : أسر وسبي عيالات وحرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فنحن نجد في الفقه الإسلامي حكماً يتعلق بالبغاة ـ وهذا تعبير قرآني والبغي من يبغي علىٰ الحاكم العادل ـ وهو أن الباغي يجوز قتله ، ولكن تبقىٰ عيالات الباغي إذا كان مسلماً في مأمن من الأذىٰ فلايجوز أن تأسر ، أوتصبح غنائماً ، وبهذا تفترق نساء وأطفال البغاة عن نساء وأطفال الكفار ، فإن عيالاتهم يتحولون إلىٰ سبايا ، ورجالهم يتحولون إلىٰ أسارىٰ ،

---

(١) المصدر السابق : ٢٤٢ ، والطبري ٤ : ٣٣٤ ، حوادث سنة ٦١ .

وأموالهم تتحول إلىٰ غنيمة .

وأول من بيّن هذا الفرق في الحكم هو : الإمام علي عليه السلام ، وذلك في أعقاب حرب الجمل ، عندما طلب بعض المقاتلين منه أن يقسم الغنائم التي استولوا عليها بعد المعركة بينهم ، فرفض الإمام علي عليه السلام ذلك ، وكان جوابه قوياً وشديداً ، بعد أن نهاهم ونهرهم عندما ألحوا عليه ، فأجابهم : من يقبل منكم أن تكون غنيمته أُمه عائشة ـ باعتبار أن عائشة أُم المؤمنين وكانت من جملة الأُسارىٰ ـ فوجدوا أن الإجابة صحيحة ، فمن يقبل أن تكون غنيمته أُمه ، حيث قال عليه السلام : ((.. **أما علمت أنّ دار الحرب يحل ما فيها وأنّ دار الهجرة يحرم ما فيها إلاّ بحق فمَهلاً مهلاً رحمكم الله فإن لم تصدّقوني وأكثرتم عليّ ـ وذلك أنّه تكلّم في هذا غير واحد ـ فأيّكم يأخذ عائشة بسهمه ؟!**))[1] وفهموا أن الحكم

---

(١) البحار ٣٢ : ٢٢١ ـ ٢٢٣ ، عن الطبرسي ، ورواه السيوطي في ⇐

الشرعي بالنسبة إلىٰ بغاة المسلمين، يختلف عن الحكم الشرعي بالنسبة إلىٰ الكفار.

والمسلمون بكل مذاهبهم وطوائفهم يلتزمون بهذه الفتوىٰ، ويقبلون هذا الحكم الشرعي[1].

ولكن في كربلاء نجد الأمويين يسلكون سلوكاً آخراً، حيث قاموا بسبي وأسر حرم رسول الله ﷺ!! وعيالات أصحاب الحسين عليه السلام وأولاده، كما قاموا بنهب أموالهم، واعتبروها غنائم حرب!!.

وهذا ما نراه واضحاً في اسرهم وتسييرهم من كربلاء إلىٰ

↩ الحديث :(١٧٨١) من مسند عليّ عليه السلام من كتاب جمع الجوامع ٢ : ١٢٩، ورواه المتقي الهندي من كتاب كنز العمال ٨ : ٢١٥، الطبعة ١، ورواه صاحب كتاب المواعظ من منتخب كنز العمال المطبوع بهامش مسند أحمد بن حنبل ٦ : ٣١٥، الطبعة ١.

(١) الأحكام السلطانية ١ : ٥٥، و٢ : ٥٨ ـ ٦٠، في قتال أهل البغي، وكذلك في الفقه الإسلامي وأدلته ٦ : ١٤٦، في قتال البغاة.

الكوفة، ومنها إلىٰ الشام علىٰ نياق عجف، ونهب مخيمهم وحرقه، ولم يكتفوا بذلك حتىٰ اوغلوا في الجريمة وإليك بعض أمثلة :

الأول : أنه لما قتل أبو عبدالله الحسين عليه السلام تسابق القوم علىٰ سلب حرائر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فأخذ رجل قرطين لأم كلثوم وخرم أُذنها، وجاء آخر إلىٰ فاطمة بنت الحسين فأنتزع خلخالها، وهو يبكي، قالت له : مايبكيك يا عدوَّ الله ؟ فقال : كيف لا أبكي وأنا أسلب أبنة رسول الله، فقالت له : لا تسلبني، قال : أخاف أن يجيىء غيري فيأخذه ...[1].

الثاني : عندما أُدخلت السبايا إلىٰ مجلس يزيد، نظر رجل شاميّ كان في مجلس يزيد إلىٰ فاطمة بنت علي عليه السلام، فطلب من يزيد أن يهبها له لتخدمه، ففزعت وتعلقت بالعقيلة زينب عليها السلام، وقالت : كيف أخدم ؟! قالت العقيلة : لا عليكِ أنه

---

(١) البحار ٤٥ : ٨٢، حدبث ٩، عن أمالي الصدوق : ٢٢٨، المجلس ٣١ تحت الرقم ٢، بتصرف.

لن يكون أبداً ! ، فقال يزيد : لو أردت لفعلت ! فقالت له : إلا أن تخرج عن ديننا ...[1] ، وهنا وجد يزيد نفسه أمام حقيقة لايمكن أن يتجاوزها .

الثالث : إن علي بن الحسين عليه السلام لم يزل باكياً ليله ونهاره ، فقال له بعض مواليه : إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين ، فقال له عليه السلام : ((**يا هذا إنما أشكو بثي وحزني إلىٰ الله ، وأعلم من الله ما لاتعلمون أن يعقوب كان نبياً فغيب الله عنه واحداً من أولاده وعنده اثنا عشر وهو يعلم أنه حيٌّ فبكىٰ عليه حتىٰ ابيضت عيناه من الحزن وإني نظرت إلىٰ أبي وأخوتي وعمومتي وصحبي مقتولين حولي فكيف ينقضي حزني واني لا أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني العبرة وإذا نظرت إلىٰ عمّاتي وأخواتي ذكرت**

---

(١) راجع أمالي الصدوق : ٢٣٠ ، مجلس ٣١ ، تحت رقم ٤ ، وروىٰ الخوارزمي في المقتل ٢ : ٦٢ أنها فاطمة بنت الحسين عليها السلام .

فرارهن من خيمة إلىٰ خيمة ...))[1].

ففي موضوع السبي والأسر من التحدي والإنتهاك والإستهتار بحدود الشريعة ، ما لا يشبهه القتل ولا يشبهه شيء مما وقع في كربلاء ، وهي تساوي من حيث أهميتها ما وقع علىٰ الإمام الحسين عليه السلام من مظلومية ، ومن معاملة وحشية أرتكبها الأمويون .

وهذا ما يفسر لنا إصرار الإمام الحسين عليه السلام في أخذ عياله معه ، حيث يذكر ذلك عندما سأله أخوه محمد بن الحنفية عن سبب حمله العيال معه ، قال له الحسين عليه السلام : **((إن الله قد شاء أن يراهن سبايا))**[2].

وكان لهذا الدور ، الأثر الكبير في كشف الحقائق في ثورة الإمام الحسين عليه السلام ، بالرغم من وجود تلك الفكرة السائدة التي

---

(١) البحار ٤٦ : ١٠٨ ـ ١١٠ ، ومقتل الحسين عليه السلام : ٣٧٧ ، للمقرم .

(٢) البحار ٤٤ : ٣٦٤ ، عن كتاب الملهوف .

روج لها معاوية[1].

ومن خلال استعراض هذه الأدوار الخمسة الأساسية التي قامت بها المرأة المسلمة في الثورة الحسينية، يمكننا أن نستنتج ما يمكن أن تقوم به المرأة المؤمنة في التاريخ الإسلامي والمجتمع الإسلامي من أدوار، مضافاً إلىٰ دورها المتميز في بناء القاعدة الأساسية للمجتمع الإنساني، وهي الأُسرة التي يكون للمرأة في بنائها الدور الأساس.

وهذا كله مضافاً إلىٰ ما وهبها الله سبحانه وتعالىٰ من مواهب ذاتية، تفتح لها أبواب التكامل في المسيرة الذاتية الفردية لها في العلم والمعرفة والعبادة والتقوىٰ والإخلاص لله تعالىٰ والبذل والعطاء لاسعاد البشرية، مما يمكن أن نشاهده في الأمثلة الصالحة التي ضربها القرآن الكريم لنا فيها، وتحدث

---

(١) وإذا نظرنا إلىٰ النظام المجرم الحاكم في العراق، نجده قد أرتكب من الفضائح والجرائم ما لايمكن تبريره بأي مبرر، إضافة إلىٰ الأعمال الوحشية التي تجاوزت كل الحدود.

عنها الحديث الشريف ، ووقائع التاريخ الإسلامي ، كخديجة الكبرىٰ ، والصديقة الزهراء ، والعقيلة زينب عليها السلام ، وغيرهن من النساء الفاضلات .

وقد قرن القرآن الكريم هذا الجانب من الكمالات الأخلاقية والممارسات العبادية المرأة بالرجل ، مما يعطينا تصوراً واضحاً عن الكمال في شخصيتها الإنسانية وفي مسؤوليتها الاجتماعية ، ويمكن أن نلاحظ ذلك بوضوح في قوله تعالىٰ :

﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيراً وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً * وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ

ضَلَـٰلاً مُّبِيناً ﴾[1]

نسأل الله سبحانه وتـعالىٰ أن يـجعلنا ـ نسـاءً ورجـالاً ـ مـن السائرين دائماً عـلىٰ مـنهج الإمـام الحسـين عليه السلام ، وأن يـحقق أهداف الإمام الحسين ، ويجعلنا من الآخذين بثأره .

(١) الأحزاب : ٣٥ـ٣٦.



الفهرس

